مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 07 (01) جـوان 2023 ص ص 838-854

المنشآت الدينية العثمانية بالغرب الجزائري

"دراسة طوبونيمية للجامع الكبير وجامع عين البيضاء بحاضرة معسكر أنموذجا"

Ottoman Religious Installations in Western Algeria:

A Toponymic Study of mascara's great Mosque and the Mosque of Ain Al-Bayda as a model

لامية بوسعادة[1*] ؛ محمد نجيب مغني صنديد[2]

[1] مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت (الجزائر).
البريد الالكتروني المهني: lamia.boussaada@univ-temouchent.edu.dz

[2] مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث، كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية جامعة بلحاج بوشعيب عين تموشنت (الجزائر).
البريد الالكتروني المهني: mohamed.marnisandid@univ-temouchent.edu.dz

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022/12/08	2023/05/05	2023/06/01

الملخص: تظل الطوبونيميا أحيانا الملجأ الوحيد للدارس الذي يحاول أن يعطي تفسيرا مقنعا ومنطقيا لكثير من المسميات التي أطلقت على أماكن بعينها، وتستمد معناها من دلالتها المتداولة في لغة ساكني فضاء هذه الطوبونيمات، وهذا ما ينطبق على العديد من المنشآت المعمارية الدينية التي شهدتها مدينة معسكر خلال الفترة العثمانية، وتهدف هذه الورقة البحثية إلى تأصيل أسماء هذه المنشآت الدينية وعرض التسميات المختلفة لها والظواهر المتعلقة بها ودواعي تسمياتها، ولكون الدراسة الطوبونيمية في أصلها هي بحث في ماضي أسماء الأماكن تم الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي التاريخي، حيث تمت الاستعانة باستخدام طريقة المسح الجغرافي والتصنيف لأسماء عينة الدراسة وهي الجامع الكبير وجامع عين البيضاء، وقد تم التوصل إلى النتائج الآتية:

- أن علم الطوبونيميا يعمل على تأصيل أسماء الأماكن من خلال أصنافه ومعاييره.
– يتنوع أصل تسمية الجامعين العثمانيين بين الاثنونيم والهيدرونيم.

* **المؤلف المرسل**

وفي ضوء هذه النتائج تقترح الدراسة بعض التوصيات أهمها:
- ضرورة البحث الميداني في المجال الطوبونيمي.
- يجب حماية هذه المعالم الدينية التاريخية من التوسع الرهيب للبناء الفوضوي حولها.

الكلمات المفتاحية: *الطوبونيميا ؛ المساجد أو الجوامع ؛ مدونة معسكر ؛ التاريخ ؛ الدراسة اللسانية .*

Abstract: Toponymy sometimes remains the only refuge for the student who tries to give a convincing and logical explanation for many of the names that were given to specific places, and derives its meaning from its significance in the language of the inhabitants of the space of these toponyms, and this applies to many religious architectural establishments that the city of Mascara witnessed during the Ottoman period This research paper aims to root the names of these religious establishments and present the different designations for them and the phenomena related to them and the reasons for their designations, and because the toponymic study in its origin is a search in the past of place names, it was relied on the historical analytical descriptive approach, where the use of the geographical survey and classification method was used for the names of a sample The study is the Great Mosque and Ain Al-Bayda Mosque, and the following results have been reached:
The science of toponymia works to root the names of places through its categories and criteria.
The origin of the name of the Ottoman collectors varies between the ethnonym and the hydronium.
In light of these results, the study proposes some recommendations, the most important of which are:
The necessity of field research in the field of toponymia .
These historic religious monuments must be protected from the terrible expansion of chaotic construction around them.

Keywords: *Toponymy, Mosques, Mascara City Content, History, Linguistic Study.*

توطئة:

إن موضوع ذاكرة الأمة يتجلى في الحفاظ على تراثها وتاريخها وثقافتها؛ وقد ازداد الاهتمام في السنوات الأخيرة بالمحافظة على التراث خوفا من الطمس والضياع؛ خاصة في ظل التغيرات التي يشهدها العالم ممثلة في ظاهرة العولمة بمختلف مناحيها التكنولوجية والثقافية، وقد كان من آثارها محاولة الهيمنة الثقافية على الدول الفقيرة

والضعيفة، ممّا عجّل ببروز دراسات تهتم بالحفاظ على تراثنا من بينها الطوبونيميا أو المواقعية.

إن مدينة معسكر كمنطقة آهلة بالسكان تحتوي على العديد من المعالم الأثرية والدينية من بينها الجامع الكبير وجامع عين البيضاء اللذان يحملان أسماءً تختلف باختلاف مرجعياتها الدينية والاجتماعية، ومن ثمة إلى أي مدى تسهم الدراسة الطوبونيمية في كشف خلفيات دواعي تسمية هذين المعلمين الأثريين؟ وما المرجعيات الفكرية أو العقدية التي نهل منها أصل التسمية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اللسانية حاولت أن أبين كيف تسهم الدراسة الطوبونيمية في البحث عن العلاقة بين الاسم والمكان المسمى به وتحللها تحليلا تاريخيا وجغرافيا ولسانيا. والمعايير التي تستند إليها التغييرات الاسمية المكانية.

كما تهدف الدراسة الطوبونيمية إلى خدمة عدة تخصصات تسعى إلى دراسة أصل ودلالة أسماء الأماكن والمواقع والآثار، وتقترب كثيرا وبشكل منطقي ومعرفي من حقيقة تسمية هذه المواقع، مع الاقتراب من الجذور التاريخية لهذه التسمية. ولمعالجة هذه الخطة اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي التاريخي، وقد تحقق ذلك على النحو الآتي:

1 ــ نبذة تاريخية لتجليات الطوبونيميا في البحث الأكاديمي

2 ــ الطوبونيميا: تعريفها، أصنافها، أنظمتها.

3 ــ الإطار الجغرافي والتاريخي لمدينة معسكر.

4 ــ الدراسة الطوبونيمية للجامعين العثمانيين.

1. نبذة تاريخية لتجليات الطوبونيميا في البحث الأكاديمي:

إن المتتبع للمعالم الأثرية التي تزخر بها مدينة معسكر تاريخيا يجد بعض الأبحاث والدراسات التي تناولت البحث والدرس في هذا المجال، للمكانة التي حظيت بها المدينة

خلال العهد العثماني باتخاذها عاصمة لبايلك الغرب في الجزائر، إذ كانت هناك دراسات نظرية وميدانية أشارت إلى بعض معالمها؛ من بينها:

أ ــ أشارت بعض المصادر والمراجع التاريخية إلى الأحداث التي جرت في منطقة معسكر وبعض معالمها قبل وخلال العهد العثماني، إذ ذكر الإدريسي (560هـ/1164م) المغرب العربي في كتاب "نزهة المشتاق"، أما فيما يخص الأحداث والوقائع التي عرفتها المدينة في أواخر العهد العثماني وكذلك تاريخ منشآتها العمرانية فنجد كتاب "الثغر الجماني في استنام الثغر الوهراني" لابن سحنون أحمد الراشدي، و"رحلة محمد الكبير باي من الغرب إلى الجنوب الجزائري" لابن هطال التلمساني (ت1219ه/1804)، إضافة إلى مخطوطات عديدة منها: "الخبر المعرب عن الأمر المغرب الحال بالأندلس وتطور المغرب" لأبي راس الناصري (ت1238ه/1823م)، ومخطوطات محفوظة بمكتبة محمودي البشير في معسكر، وهي أساس المراجع الحديثة باللغتين العربية والأجنبية، وقد تطرقت إلى جغرافية مدينة معسكر وبعض معالمها التاريخية خلال الفترة العثمانية؛ نذكر منها: "المساجد العثمانية بوهران ومعسكر" لمؤلفه مبروك مهيرس، وكتاب "معسكر عبر التاريخ" لابن داهة عدة ورسالة ماجستير عنوانها: "الحياة الاقتصادية والاجتماعية لمنطقة معسكر خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين (1701-1830)"(عليو محمد) وكذلك:

" Gorgues. A : histoire d'un bey de mascara et de l'oran, le bey osman el kebir. "

ب ــ أما البحث الميداني فهذا النوع من الدراسات قليل جدا، إلا بعض الإشارات إلى مجموعة من منشآت المدينة في رسائل جامعية عديدة؛ منها: واحدة للباحث بلحاج معروف متعلقة بالمساجد العثمانية ذات القبة المركزية الجزائرية، إذ درس من خلالها الجامع الكبير وجامع عين البيضاء، وأخرى للباحث مهيرس مبروك للمساجد العثمانية بوهران ومعسكر وكذلك المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني.

2. الطوبونيميا بين المفهوم والأصناف والأنظمة

الطوبونيميا كعلم أو المواقعية أو أسماء الأماكن (Topontmie -Toponymy) مشتقة من الكلمة اليونانية Topos والتي تعني المكان Onoma والتي تعني الاسم (دريس، 2012، صفحة 127). فهي العلم الذي يأخذ بعين الاعتبار أسماء الأماكن المأهولة والمدن والقرى والأماكن المحلية مثل تلك الموجودة في الجبال والأنهار والطرقات والمسالك والمنشآت المائية (حسن، 2004، صفحة 10/9).

ويتبين من خلال دراسة أسماء المواقع أن الطوبونيميا نوع من علم الأعلام المتفرعة، إذ تأخذ مادتها ومعناها من العلوم اللصيقة والموازية "علوم أسماء الجبال وأسماء الأنهار وأسماء الأماكن وأسماء الشوارع وغيرها" (سيدي محمد، 2018، صفحة 42).

فالطوبونيميا- إذن- تعد ذلك الباب الذي يمكن من خلاله إثبات الهوية الأصلية، بعيدا عن التجاذبات الإيديولوجية والتدافعات السياسية، وسبيلا لفهم العديد من الظواهر، وحفظ الموروث الإنساني في تجلياته اللغوية والسياسية والحضارية، وإن لم يعد من السهل في وقتنا الحاضر فهم أسماء الأماكن بعدما تغايرت الكثير من المسميات ذات المعنى الأصلي تبعا لاختلاف الظروف.

1.2. الأصناف الرئيسة للطوبونيميا:

تصنف أسماء الأماكن في علم الطوبونيميا "المواقعية" إلى أصناف عديدة، فهي تختلف من نوع إلى آخر؛ ويمكن حصر الأصناف الرئيسة فيما يلي:

أ ــ **الهيدرونيم (Hydronyme):** وهو صنف من أصناف الطوبونيميا وهي مركبة من Hydro وتعني الماء وonyme التي تعني الاسم، ويطلق هذا اللفظ على أسماء الأماكن التي لها علاقة بالماء؛ مثل:عين وبئر، وواد ومنبع.

ب ــ الأورونيم (Horonyme): ويختص بالأماكن التي لها علاقة بالتضاريس؛ مثل: جبل وهضبة وتل (Fadil , n.d, p. 22/23).، (هدية، 2008، صفحة 13)

ج ــ الأودونيم (Odonyme) : ويعنى هذا الصنف بدراسة أسماء الطرقات والشوارع (محمد البركة والآخرون، 2014، صفحة 125/121).

ــ الأجيوتوبونيم (Hajiotoponyme): هذا الصنف يختص بدوره بأسماء الأماكن التي لها علاقة بالأولياء الصالحين والقديسين (محمد البركة والآخرون، 2014، صفحة 127).

فقد يتضح من عرضنا هذا لأهم أصناف الطوبونيمي أنها تمتاز بمجموعة من السمات أو العناصر التي يزخر بها ذلك المكان من ماء أو تضاريس أو شوارع عتيقة،أو شخصيات تاريخية عاشت في ذلك المكان، وهي أيضا تشير إلى أسماء النبات والحيوان، وتنضوي تحت المواقعية الجزئية (بوتشيش،2018، صفحة 312)(La microtoponymie).

2.2. أنظمة الطوبونيميا:

لا يدرس علم المواقعية إلا بوجود أنظمة ثلاثة لا يمكن فصلها عنها؛ وهي: اللسانيات وعلما التاريخ والجغرافيا

أــ اللسانيات: تعد اللسانيات النظام الأساس الذي يستند عليه علم المواقعية، فأسماء الأماكن هي عناصر من اللغة، ولا تولد تلقائيا، وإنّما هي مختارة من الخزان المعجمي للغة (Brahim, 2005, p. 34)، فأسماء الأماكن عبارة عن نتائج مفهمة لمكان ما قبل اللغة، فاللغة هي التي تفرض على كل مكان قواعد خاصة، وتمكن عملية تسمية الأماكن في إرساء إشارة لسانية ترسخها في المكان المقصود بالتسمية (ميدون، 2011، صفحة 183) ،هذا وهناك من التسميات ما سهل فهمها بدراسة اللهجة إذ نشأت التسمية، ومنها ما لا نفهمها فقد تكون قد اقتبست من العصور القديمة .

ب ــ علم التاريخ: العلاقة بين المواقعية والتاريخ علاقة بيئية وطيدة، إذ تشكل أسماء الأماكن شاهدا ثمينا على ماضينا، كما أن للمواقعية علاقة بهجرة الشعوب وغزو الأقاليم

والاستعمار والاستقلال، وتنقل الإنسان والتنوع والتنظيم، وتشير المواقعية من خلال دراستها تاريخيا إلى تلك العلاقة الموجودة بين اسم المكان وكيانه في التاريخ، فهي تطلعنا على حركات الشعوب القديمة.

ج ــ علم الجغرافيا: تحاول الجغرافيا شرح ما يربط الإنسان بوسطه، وهنا ما يسمى عين المكان وتدل أسماء الأماكن عن وجود مكان ما في مساحة ما، وتساعد على تأسيس موقعه بالنسبة للأماكن الأخرى لما تنقل لنا من معلومات، وتتعلق أساسا إما بطبيعة المناخ وتقلباته، والإنتاج الفلاحي أو الصناعي وطبيعة الأرض (ميدون، 2011، صفحة 185/183).

3.2.الطوبونيميا وتمظهراتها:

تساعد الدراسة الطوبونيمية في استرجاع الأسماء الأصلية للأمكنة، التي شوّهت نتيجة المسح الثقافي في عصور مختلفة، إذ إنها تقوم على دراسة الأسماء، حتى يتسنى فهم ما قصده المجتمع من خلالها، كما تمكننا من قراءة ثقافته واهتماماته وتطوراته (hastaing, 1945, p. 5) ويرى آلبرت دوزا Albert Doza: كما "أن المواقعية تمكننا من فهم الروح الشعبية وميولها سواء أكانت أسطورية أم حقيقية والوسائل التي تعبر بها" (Brahim, 2005). فالتعرف على أصل تسمية المكان مهم جدا؛ فبالتسمية يكون الإنسان مضطرا في كل مرة إلى وصف المكان بميزاته والطابع الغالب عليه. وتكون هذه التسمية مرتبطة أساسا بجغرافية المكان، أو مع نوع من النبات أو الحيوان الذي يكثر تواجده بذلك المكان، أو مع أسام تربط الشعوب بأراضيها من قبائل وعائلات أو حتى أسماء الصالحين الّذين انتقلوا إلى ذلك المكان (Brahim, 2005, p. 33)، فهي دراسة لاسم المكان من الناحية التاريخية أو الجغرافية أو الأنثروبولوجية أو الدينية أو العرفية (Brahim, 2005, p. 33).

تعد مدينة معسكر من المدن الجزائرية المشهورة بكثرة معالمها الدينية الأثرية، التي ترجع جلها إلى فترة التواجد العثماني في الجزائر، وهي الفترة التاريخية التي تّمت

ترقيتها إلى عاصمة لبايلك الغرب؛ فقد ساهم هذا إلى حد كبير في اهتمام البايات بتعميرها وتوسعة نسيجها الديني والعمراني، وهذا ما جعلها وجهة مفضلة للطلبة والعلماء من كل أقطار البلاد، ولذلك فقد حرص البايات على تطويرها وتوفير كل مستلزمات الحياة بها، وخاصة منها المنشآت العمرانية المختلفة إذ تنوعت بين المنشآت الدينية والمدنية والعسكرية، فمن هذه المنشآت المتبقية نذكر المساجد العريقة التي مازالت أغلبها باقية صامدة تحفظ ذاكرة صاحبها، سواء أكان حاكما أم عالما أو واليا صالحا، على الرغم من عوامل الزمن ومحاولات المستدمر الفرنسي إزالتها من الوجود لطي تاريخ المنطقة وأعلامها وعلمائها من ذاكرتهم.

3. مدينة معسكر جغرافيا وفلكيا وتاريخيا:

تقع مدينة معسكر في الإقليم الشمالي الغربي للجزائر، على أحد السفوح الجنوبية المطلة على سهل غريس بالقسم الغربي لجبال بني شقران فوق أرض كلسية بيضاء تعود إلى الزمن الثالث وبخصوص عصر البليسترسين، وهي تحتل كل من هضبة سان هيبيليت -المامونية حاليا- وسهل غريس المنخفض والذي يمتد جنوبا من الأقسام الجوارية من جبال سعيدة، والتي هي جزء من الأطلس التلي.

يحدد موقع معسكر الفلكي بخط عرض 25-35° شمالا وخط طول 15-02° غربا، بعلو عن سطح البحر يقدر بـــ 585م^2، وتتوسطها أودية هامة، مثل وادي تودمان ووادي عين السلطان الذي يعدّ الممون الرئيس للمدينة بالماء الشروب (Emerit, 1951, p. 94). وتبعد مدينة معسكر عن مدينة وهران الواقعة إلى الشمال الغربي منها بنحو 98 كيلو متر، وعن مدينة سعيدة الواقعة جنوبا بنحو 76كيلو متر، وعن مدينة أرزيو بـــنحو 105 كيلو مترات (داهة، 2005، صفحة 8).

1.3. مناخ مدينة معسكر:

يسود مدينة معسكر مناخ شبه قاري، يتميز بتذبذب سقوط الأمطار ،إذ تبلغ في المتوسط أكثر من 500 ميليمتر سنويا، بينما تصل كمية الأمطار إلى 800 ميليمتر سنويا بالمناطق المرتفعة، وقد تفوق أحيانا إلى 1242 ميليمتر؛ وهي الكمّيّة المسجّلة في عام 1928م (Robert Tuitoie, 1948 , p. 100).

2.3. معسكر تاريخيا:

يرجع تاريخ مدينة معسكر إلى عصر ما قبل التاريخ بحوالي 500 سنة ق.م؛ وذلك باستقرار الإنسان بها والذي يعرف بإنسان الأطلس الموريتاني أو إنسان تيغنيف (الجيلالي، دت، صفحة 103)، وقد كانت معسكر قاعدة عسكرية مسماة كاسترانوفا "castra nova" أي المعسكر الجديد، وذلك خلال الفترة الرومانية، ثم تطورت لتصبح مدينة عسكرية بساحتها الواسعة يتوسطها معبد، وبها مسارح ومعابد وأسواق ودكاكين ومكتبات تابعة إداريا لموريتانيا القيصرية (عبد الحق شرف، العربي بن عبد القادر بن علي بن المشرقي، 2013، صفحة 19/18).

وقد كانت المنطقة بعد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا من ضمن نفوذ الدولة الرستمية في البداية، ثم خضعت للدولة الإدريسية وعند قيام الدولة العبيدية اتخذ قادتها معسكر قاعدة القضاء على ثورات زناتة، خاصة أيام جوهر الصقلي الذي أغار على قرية أفكان وقضى عليها نهائيا، وفي القرن الثاني عشر جعلها الموحدون قلعة عسكرية ثم حكمها الزيانيون بعد ذلك، وعند سقوط غرناطة سنة 1482 م استقبلت معسكر مجموعة كبيرة من سكان الأندلس، الأمر الذي أدى إلى غزوها من قبل الإسبان سنة1505 م (دار الثقافة معسكر، دت، صفحة 3)، والثانية ما بين سنة 1517م و1518 م بمساعدة أبي حمو موسى الثالث سلطان تلمسان الزياني، وقد تمكن من القضاء على أول عامل تركي بقلعة هوارة وهو إسحاق بن يعقوب أخ عروج وخير الدين (المشرقي، 2013، صفحة 20).

وقد كانت معسكر إلى مطلع القرن الثامن عشر مجرد قرية قديمة (العيفاوي، 2009/2008، صفحة 19) حتى سنة 1701، حيث نقل الباي مصطفى بوشلاغم مركز البايلك من مازونة إلى القلعة ثم إلى معسكر (خروبي، 2014، صفحة 198)، إذ تم تمدينها من قبل الأتراك وتزيين أبوابها السبعة المعروفة (الجيلالي، دت، صفحة 103)، إذ يقول صاحب المرآة في هذا الصدد: "حينما كانت معسكر هي مقر الباي، وكانت المقاطعة عندئذ غنية، وشاع الترف في معسكر، يظهر ذلك من خلال منازلها وهندستها، إنها مدينة أكثر تقدما من تلمسان" (خوجة، 2005، صفحة 59)، ومهما يكن فإن المدينة الحالية لم تكن ذات يوم سوى قرية متواضعة لم يعد لها شأن إلا بعد مجيء الأتراك العثمانيين إلى الجزائر.

وقد جعل منها الباي بوشلاغم قاعدة عسكرية تنطلق منها كل الحملات التحريرية المحتلة آنذاك من قبل الإسبان، وقد عرفت معسكر حكم عشرة بايات جعلوا منها عاصمة ثقافية اقتصادية لكل الغرب الجزائري هذا وقد تمت مبايعة الأمير عبد القادر البالغ وقتها 25 سنة من قبل كل قبائل معسكر، إذ اتخذ هذا الأخير من معسكر عاصمة لدولته الجديدة، وذلك خلال الاستعمار الفرنسي للجزائر وبعد سنتين من احتلال العاصمة سنة 1830م، وقد عرفت خلالها مختلف مراحل الاحتلال بمقاومتها العسكرية والسياسية مما أهلها لتكون أحد مراكز الحركة الوطنية.

4. مسجدا مدينة معسكر:

4 ــ 1 ــ الجامع الكبير:

يقع الجامع الكبير في وسط مدينة معسكر في الساحة المسماة حاليا بساحة مصطفى بن التهامي، ويعتبر من أقدم جوامعها وأهمها على الإطلاق في العصر الحديث، فقد حظي برعاية خاصة من قبل الولاة والمسؤولين للبايلك طوال حكم الأتراك (بوعزيز، دت، صفحة 213)، وأسس هذا الجامع سنة 1160هـ الموافق لـ1747 م وهو ما تؤكده

اللوحة التأسيسية المثبتة ببيت الصلاة ومقاساتها 25سم ارتفاعا و44عرضا (بلة، دت، صفحة 83)، بنيّ من قبل الباي الحاج محمد بن عثمان الكبير؛ وهو الباي الثالث والعشرون لبايلك الغرب، وقد عين في المرة الأولى على مازونة وتلمسان في سنة 1018ه، وهو أول من جمع له بينهما (أبو راس، دت، صفحة 128)، إذ قام بتجديده وتوسيع مساحته، كما جلب إليه المياه وبنى خمسة أحواض للوضوء واستبدل منظره بمنظر أحسن من ذي قبل (هطال، 1969، صفحة 28/27)، وقد شيد في مدينة معسكر مجموعة من المنشآت العمرانية.

يعتبر هذا الجامع الأنموذج الوحيد في معسكر الذي لم تطله يد الاحتلال الفرنسي للطمس والتخريب والهدم والتغيير، فقد بقي على حالته الأصلية إلى درجة كبيرة (مهيرس، 2009، صفحة 50). وقد كان يعرف هذا المسجد منذ تأسيسه باسم الجامع الكبير، وعندما أدخلت عليه الزيادات أطلق عليه اسم جديد هو "جامع مصطفى بن التهامي" صهر الأمير عبد القادر، وتحيط به الشوارع من الجوانب الثلاثة الشرقية والغربية والجنوبية، وأمّا الجهة الشمالية فيلتصق به حمام البركة (بوعزيز، دت، صفحة 207).

شارك هذا المسجد في مسير ة الحياة الدينية لهذه البلاد، وفي تنوير عقول الأجيال على مر الزمان، وكذلك في إثراء الحياة الفكرية والثقافية بشكل واسع وبطريقة إيجابية، تهدف إلى تدريس عدد كبير من العلماء الأجلاء على رأسهم العلامة الحافظ "أبي راس المعسكري الراشدي" (بوعزيز، دت، صفحة 213).

4ـ 2 ـ جامع عين البيضاء:

أما جامع عين البيضاء فيقع في حي عين البيضاء في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة، إذ شيّد على أرض مائلة إلى الشرق، وذلك بعد أن أقام الباي محمد بن عثمان الكبير بشراء أرض من أربابها بأغلى ثمن وهم مستبشرون ببيعها (الرشدي، 1973،

صفحة 127)، وقد تم الإفراغ من بنائه في أول شهر ذي القعدة من عام 1195ه الموافق لـــــ 19 أكتوبر 1781م، ويتألف هذا المسجد من قاعة مربعة الشكل تتوسطها قبة كبيرة وقاعة للصلاة بمدخل واحد على اليمين، وقد زخرف محرابها بنقوش جميلة جدا، عليها آيات قرآنية كريمة، كما تم تدوين تاريخ تأسيس هذا المسجد والآمر بتأسيسه والمشرف على بنائه، وعلى يمين قاعة الصلاة تقع منارة المسجد المثمنة الأضلاع (بوعزيز، دت، صفحة 211/210).

ولقد أطلق على هذا الجامع أربع تسميات؛ فالتسمية الأولى هي "جامع عين البيضاء" نسبة إلى العين الموجودة أسفل السور بالمنطقة، إذ إنّ لونها كان أبيض فاتخذ منه اسمها، ولم تقتصر هذه التسمية على الجامع فقط بل سمي الحي كله باسم هذه العين (بلة، دت، صفحة 84/83)، وأما التسمية الثانية فهي "جامع الباي محمد الكبير "نسبة إلى مشيده، والثالثة هي"جامع المبايعة"، لأنه فيه بايع زعماء منطقة غريس والحشم عبد القادر بن محيي الدين أميرا للجهاد والمقاومة وذلك أوائل عام 1832م (بلة، دت، صفحة 84)، واستمر في وظيفته سنوات عديدة إلى أن تم نقض معاهدة تافنة من قبل الفرنسيين أواخر سنة 1839م، وبعدها بسنة أحتلّ المستدمر الفرنسي مدينة معسكر، وأما الاسم الرابع فهو "جامع سيدي حسان"، والسبب في ذلك أنّ عقيدة الاستدمار الفرنسي أرادت أن تطمس معالم هذا الجامع المزدوج الشرف وكذا اسمه، الذي تعاقب عليه الشرفان المجاهدين، الأول هو "الباي محمد الكبير" فاتح وهران ومخلصها من الاحتلال الإسباني، والثاني هو "الأمير عبد القادر" بطل المقاومة الشعبية الجزائرية ضد الاستدمار الفرنسي لاسيما الغربية منها، وعلى خلفية تداول اسمي المجاهدين الكبيرين لدى الجزائريين وذيوع ذكرهما، ما دامت هذه الجدران قائمة؛ وعليه فقد عمدت سياسة فرنسا الاستعمارية إلى حيلة لتنسي سكان معسكر في هذه الأسماء التي قد تبعث في نفوس الجزائريين الحماس والتذكير بالمجاهدين وأيام الجهاد، فحدث أن اشترى مستوطن فرنسي أرضا مجاورة

للجامع وبالأرض قبر لرجل صالح يسمى سيدي حسان، فطلب هذا المستوطن أن ينقل هذا القبر من أرضه، فكان ذلك وقد دفنوه بالقرب من الجامع، ومنذ ذلكم الحين تغير اسم الجامع لدى العامّة وبإرادة للسلطة الفرنسية الحاكمة، فأطلق اسم "سيدي حسان" على الجامع (مهيرس ، 2009، صفحة 50).

1.4. الدراسة الطوبونيمية للجامعين:

ــ الجامع الكبير:

اسم الجامع	نوعه	طبيعته	دلالته اللغوية (التعريف اللغوي)
مصطفى بن التهامي.	طوبونيم ديني	اثنونيم اسم علم مناضل شاعر وفقيه.	صهر الأمير عبد القادر وابن عمته، اشترك معه في حرب المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي وشارك معه، ويعتبر شاعر وفقيه حيث يتنوع شعره موضوعيا بين المدح والوصف والرثاء والإخوانيات والتوسل إلى الله بنبيه الكريم، كما تولى الفنون في وهران في العهد العثماني.
الجامع الكبير	طوبونيم ديني	سمي بالجامع الكبير لكبر حجمه آنذاك خاصة أن مشيده أمر بتوسيعه.	الكبير: نقيض الصِغَر، كَبَرَ، كبيرا، وكِبْرا، فهو كبير وكُبَارٌ وكبَار بالتشديد (منظور، دت، صفحة 3807). **مؤسسه: بن إبراهيم.** الحاج عثمان الذي يعتبر الباي الثالث والعشرين في مجموعة البايات الذين حكموا بايلك الغرب، تولى الحكم سنة 1160 ــ 1170 الموافق لـ 1778 – 1799، وتوفي بمدينة معسكر بعد حكم دام 9 سنوات ودفن بنفس المدينة (بلة، دت، صفحة 83).

ــ جامع عين البيضاء:

اسم الجامع	نوعه	معناه	دلالته اللغوية (التعريف اللغوي)
جامع عين البيضاء	طوبونيم ديني	هيدرونيم عين موجودة أسفل السور بالمنطقة	نسبة إلى العين الموجودة أسفل السور بالمنطقة، حيث أن لونها كان أبيضا، فاتخذ منه اسمها، ولم تقتصر هذه التسمية على الجامع فقط بل سمي الحي كله باسم هذه العين. العين: عين الماء، والعين الذي يخرج منها الماء، والعين ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض ويجري، أنثى والجمع أين وعيون، ويقال غارت عين الماء. وعين الركيبة: مفجر الماء ومنبعها (منظور، دت، صفحة 3197).
جامع الباي محمد الكبير	طوبونيم ديني	اثنونيم نسبة إلى مشيده محمد الكبير.	محمد الكبير: هو محمد بن عثمان بن إبراهيم الكردي، أمه جارية اسمها زائدة، أهداها ملك المغرب مولاي إسماعيل لوالده، يعتبر هذا الباي من أشهر بايات معسكر (Kaddache, 2003, p. 139). ويعد واحدا من الشخصيات الجزائرية التي حفل بها ماضي بلادنا، حيث سجل حضوره القوي في الربع الأول من القرن الثامن عشر، وارتبط اسمه بفتح وهران وتحريرها من الإسبان، تولى الحكم سنة 1192 – 1213 الموافق لـ 1778– 1799 كما ترك بصمته في تشييد المدرسة المحمدية.

جامع المبايعة	طوبونيم ديني	اثنونيم المبايعة الثانية للأمير عبد القادر.	هو الأمير عبد القادر بن محي الدين المعروف بعبد القادر الجزائري، ولد في قرية القيطنة قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري، قائد سياسي وعسكري مجاهد قاد مقامة شعبية لخمسة عشر عاما أثناء بدايات غزو فرنسا للجزائر، يعتبر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورمز المقاومة الجزائرية ضد الاضطهاد الفرنسي، وقد تمت مبايعته للمرة الأولى بالإمارة وللمرة الثانية بمسجد سيدي حسان، حيث ألقى خطبة جماعية وحث أبناء قومه على الجهاد وفق ما تقتضيه. الشريعة الإسلامية (الحرة).

تنوعت طبيعة الطوبونيم الديني بالنسبة للجامعين بين الاثنونيم والهيدرونيم.

5. خاتمة:

وفي ختام هذا البحث تجدر الإشارة إلى أن الدراسة الطوبونيمية تساهم بشكل كبير في دراسة العلاقة بين الاسم والمكان المسمى به دراسة تاريخية وجغرافية ولسانية، كما أن منطقة معسكر خلال العهد العثماني كانت من أهم المدن الجزائرية التي حظيت باهتمام كبير في ميدان البناء والتشييد، خاصة ما تعلق منها بالمنشآت الدينية المتمثلة في الجامعين العثمانيين وهما الجامع الكبير وجامع عين البيضاء اللذين تنوعت طبيعة الطوبونيمات الخاصة بهما بين الاثنونيم والهيدرونيم، وممّا سبق تناوله من هذه الدراسة فإن البحث قد أفضي إلى مجموعة من النتائج أهمها:

ـــــ إن الطوبونيميا كعلم مستحدث ظهر أول مرة في أوربا، وهو يعمل على تأصيل أسماء الأماكن من خلال أصنافه ومعاييره.

ـــــ أمدتنا الطوبونيميا بفكرة أن أي اسم أو كنية أطلقت على شخص أو مكان لم تأت من عبث بل هناك رواية أو قصة من ورائها.

ـــــ إنّ تعاقب الحضارات قد ولد أسماء أماكن أصبحت شاهدة على السلوك اللغوي الذي كان مستعملا آنذاك.

ـــــ يعد الموقع الجغرافي الذي تحتله منطقة معسكر من بين المواقع الإستراتيجية الموجودة في الجزائر، والتي استقطبت الإنسان منذ فترة ما قبل التاريخ إلى الفترة

الإسلامية، وذلك راجع إلى توافرها على شروط العيش التي تجانست مع معلمي الجامع الكبير وجامع عين البيضاء في قيام المدن.

ـــــ احتفاظ المدينة بعدد معتبر من المنشآت الدينية التي تعود إلى الفترة العثمانية على الرغم من حملات الطمس والتهديم التي صاحبت احتلالها.

ـــــ مساهمة الأتراك وعائلاتهم في بناء المساجد والدور العثماني المميز ماليا وفنيا في البناء.

ـــــ كان للتراث المادي والتغييرات التاريخية دور كبير في تغيير أصول الأماكن بمنطقة معسكر.

وفي الأخير ــيجب حماية هذه المعالم من التوسع الرهيب للبناء الفوضوي حولها، حفاظا عليها، كما يجب الاهتمام بما بقي من آثار في المنطقة لأنها في طريق الاندثار.

5. قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

الغوتي سنوسي سيدي محمد. (2018). *الطوبونيميا والهوية. مجلة الإنسان والمجتمع.*

ابن منظور. (دت). *لسان العرب* (المجلد 1). القاهرة: دار المعارف.

أحمد بن سحنون الراشدي. (1973). *الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني.* (المهدي البوعبدلي، المحرر) الجزائر: مطبعة البعث قسنطينة.

أحمد بن هطال التلمساني. (1969). *رحلة حمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري* (المجلد 1). (محمد بن عبد الكريم، المحرر) القاهرة: عالم الكتب، .

الموسوعة الحرة. (بلا تاريخ). *http : // ar,m.wikipedia,org*. تم الاسترداد من الموسوعة الحرة.

الناصري محمد أبو راس . (دت). *الخبر المعرب عن الأمر المغرب الحجال بالأندلس وثغور المغرب.* ورقلة: مخطوطة محفوظة بمكتبة محمودي البشير.

حمدان بن عثمان خوجة. (2005). *المرآة، تح: محمد العربي الزبيدي.* (محمد العربي الزبيدي، المحرر) الجزائر: منشورات ANEP.

خيرة بن بلة. (دت). *المنشآت الدينية خلال العهد العثماني* .دار الثقافة معسكر. (دت). *محافظة المهرجان المحلي للفنون والثقافات الشعبية بمعسكر* . معسكر: دار الثقافة أبي راس الناصري.

زينب بوتشيش . (2018). التأصيل الاصطلاحي لطوبونيم الأماكن المأهولة تلمسان أنموذجا، ملامح وحدة المجتمع الجزائري. *أعمال الملتقى، منشورات بلعباس*، (صفحة 312). بلعباس.

سارة هدية . (2008). *مواقعية منطقة تلمسان، دراسة لنماذج من بلدياتها، مذكرة ماجستير*. تلمسان: جامعة بلقايد أبو بكر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، تلمسان.

عبد الحق شرف، العربي بن عبد القادر بن علي بن المشرقي. (2013). *حياته وآثاره* (المجلد 1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.

عدة بن داهة. (2005). معسكر عبر *التاريخ*. الجزائر: دار الخلدونية.

عز الدين ميدون. (2011). *تاريخ ندرومة، مجتمع أنثروبولوجيا وذاكرة* (الإصدار 1، المجلد 1). تلمسان: دار السبيل للنشر والتوزيع.

علي بن العيفاوي. (2009/2008). *مدينة معسكر ودورها في العهد العثماني، ماجستير في التاريخ الحديث*. معسكر: كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة معسكر.

فتيحة خروبي . (جانفي, 2014). بايلك الغرب الجزائري خلال العهد العثماني وتطوره فيما بين 1563 ـــــ 1722م، *المرآة للدراسات المغاربية*.

مبروك مهيرس . (2009). *المساجد العثمانية بوهران ومعسكر*. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

محمد الجيلالي. (دت). *مدينة معسكر ومناقب أئمتها في القرن العشرين*، . تلمسان: نشر ابن خلدون.

محمد أمين دريس . (2012). إشكالية ترجمة الأسماء المواقعية من منظور استراتيجي التدجين والتغريب في الترجمة. ***journal modaren***، صفحة 127.

محمد حسن. (2004). *الجغرافيا التاريخية الإفريقيا* (المجلد 1). بيروت: دار الكتاب الجديدة المتحدة.

محمد الببركة والآخرون. (2014). *الطوبونيميا والبحث التاريخي، محاولة في تجديد آليات البحث* (المجلد 24).

يحيى بوعزيز. (دت). *المساجد العتيقة بالغرب الجزائري* .

المراجع باللغة الأجنبية:

Brahim, A. (2005). *Toponymie et Espaceen Algérie.* Alger: Institut national de cartographie.

Emerit, M. d.-M. (1951). *L'Algérie a l'épique d'Abd el Kader, Ed.* Paris: La Rose.

Fadil , c. (n.d). *toponymie, algériènne des lieux habities.* alger.

hastaing, c. (1945). *les noms des lieux.* paris: presse universitaire de France.

Kaddache, M. (2003). *L'Algérie durent la période Ottomane universitaires,*. Alger.

Robert Tuitoie. (1948). *Les aspects physique du tell Oranais, Ed.* Oran: Fouque.

6. ملاحق:

صورة قديمة للجامع الكبير
المصدر: أرشيف مكتبة البلدية

صورة حديثة للجامع الكبير

جامع عين البيضاء خلال فترة الاحتلال الفرنسي

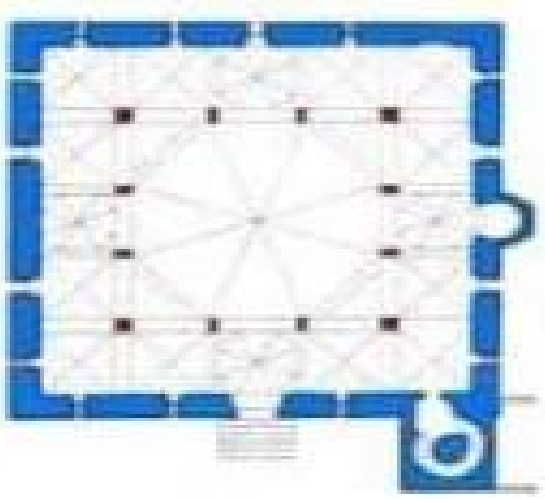

مخطط جامع عين البيضاء- عن خبرة بن بلة